

(٥٧)

## "تجدد الحياة"

تأمل السماء ليلاً ونهاراً فلم يجد فيها غير قمرٍ يتهلل حتى تكتمل استدارته، وكواكب ونجوم مظلمة ومتألثة، وشمسٍ ملتهبة ومتوهجة. والتفت حوله فوجد من انجذب للكواكب، ومن عشق القمر، ومن احترق من لهيب الشمس، أما هو فلم يكن يبحث عما يراه بعينه، بل عما لا يمكن أن يراه بهما، بينما يمكن أن يرى آثار وجوده. كان شغوفاً بمعرفة ذلك الشيء الذى يشعر به يملأ جسده بالحياة، ومع ذلك لا يمكنه أن يراه أو أن يلمسه أو يمسه به.

كان الجميع مشغولين بأجسادهم التى تشغل هى الأخرى حيناً فى الوجود من الممكن رؤيته، أما هو فكان مهتماً بالبحث عن سر حياة تلك الأجساد، والذى لا يمكنه رؤيته بعينه. كان بحثه هذا صعباً وشاقاً، فما لا يرى لا يسهل إدراكه غالباً، ولكن بحثه عن ذلك الشيء غير المرئي الموجودة آثاره والتى لا يمكن تجاهلها كان شغله الشاغل ... فما انفك ليل نهار أن يتساءل: "يا ترى ماذا يكون؟ وكيف هو شكله؟"

ظل يسأل هذا السؤال كثيرًا، وظل يبحث عنه في كل حي من الأحياء منذ ميلاده وبداية وجوده ووجود الحياة فيه وحتى انتهاء حياته بالموت. ومع البحث والتقصي والتحري، ثم إعادة النظر وإعادة الفحص، اكتشف أن كل من كان حيًا فيما مضى قد قضى عليه الموت، وأن كل حي رآه وكل من سيحيا فيما بعد وتوهب له الحياة سيكون مصيره الموت لا محالة. وها هي الكواكب والنجوم تظهر وتختفى، وها هو القمر الذى يتغير شكله المرئي في دورة موقوتة ومتكررة فيرى بوضوح ليلاً بينما لا يمكن رؤيته نهارًا، وحتى الشمس الأكبر حجمًا، والأضخم كتلةً، والأعظم تأثيرًا تختفى مع إقبال الليل، ولا يمكن رؤيتها إلا مع إدباره وبداية النهار.

وبعد طول بحثٍ وعمق تأمل، خلُصَ إلى أن الموت حقًا يطارد كل حي، وأن من مُنح الحياة سيقضى عليه الموت يومًا ما، ولكن مع كل موت هناك أيضًا تجدد للحياة. وإذا كان هناك موت بعد كل حياة، فلا بد أنه ستكون هناك أيضًا حياة ثانية تعقب الموت مثلما يتجدد الظهور بعد الاختفاء. وإذا كان كل شيء من الممكن رؤيته يتلازم فيه الموت مع تجدد الحياة، فعليه إذن البحث عن ذلك الحي الذى لا يموت والذى لا يمكن رؤيته. وعن الذى لم يأذن الميلاذ بوجوده، ولن يكون الموت مصيره، وعن الذى يهب الحياة ويقضى على من دونه بالموت، وعن القادر على إحياء الموتى جميعًا وإماتة الأحياء جميعًا، وعن الذى خلق الموت وخلق الحياة، وعن الذى أبدع ذلك السر الخفى الذى يحويه جسد الإنسان، والذى بدونه لا يمكنه أن يحيا.